دلالة (أحد) في (قل هو الله أحد)
عند أصحاب المتشابهات اللفظية

د. محمد عبد ذياب مايل
جامعة الانبار
Email:mhashimy67@gmail.com

الملخص:

كتب المتشابهات اللفظية، التي تتعامل مع أرقى نص لغوي بلاغي، وهو القرآن الكريم، وهذه الكتب تتعامل مع آيات القرآن الكريم لإبراز الجوانب البلاغية والأسرار الإعجازية ولاسيما قضايا التصريف القرآني، فهي توجه الآيات توجيهاً بلاغياً رائعاً، ويعتمد في ذلك على اللغة صرفها ونحوها ودلالتها وهي من الكتب المهمة في مجال تفسير القرآن، ومن المسائل اللافتة للانتباه حديث أصحاب المتشابهات اللفظية عن دلالة لفظة (أحد) في سورة الاخلاص (قل هو الله أحد) لاسيما الغرناطي، وشيء يسير عند الأنصاري، وهي مسألة تتعلق بالتوحيد فاستحقت الكلام عليها في نحو سبع صفحات كاملة عند الغرناطي في كتابه ملاك التأويل .

الكلمات المفتاحية: دلالة – احد – متشابه لفظي

المبحث الأول :النص القرآني والمتشابه اللفظي

النص لغة: تدور معاني مادة (ن ص ص) في المعجمات العربيّة حول البيان والظهور والارتفاع فالنصّ عند الفراهيديّ (١٧٥هـ) هو الرفع والظهور[١] وهو كذلك عند ابن منظور[٢] مع معان أخرى فرفع النصّ يوجب إعادته إلى أصله عن طريق سلسلة رواته، والمنصّة مكان جلوس العروس، ومنتهى الشيء وبلوغ أقصاه، وحثّ الناقة لاستخراج أقصى سيرها، وكذلك التعيين والتوقيف، ومنه أيضاً استقصاء مسألة الرجل حتى يستخرج ما عنده، ومن معانيه الاستواء والاستقامة وغيرها[٣] فيما لخص الدكتور عمر أبو خرمة معنى النص انه (الظهور والثبات وعلو المصدر والاستقصاء التام والتركيب والترتيب والاقتصاد)[٤] وقد خلص إلى هذه النتيجة بعد أن عرض الأقوال جميعاً لاسيما المعاني الواردة في لسان العرب . يتبيّن ممّا تقدّم أَنَّ للنصّ دلالات متعدّدة متنقّلة بين الدلالة الحسيّة والدلالة المعنويّة، ولعلّ الباعث من وراء تنقل المفردة هو مرورها عبر مراحل التطور الدلاليّ أو بسبب تعدّد لهجات اللغة الواحدة، وتبقى الدلالة المشتركة لمفردة (نصّ) هي الكشف والظهور.

النص اصطلاحاً:

إنّ المفهوم الاصطلاحي للنصّ مفهوم حديث في الفكر العربي المعاصر وافد علينا من

الحضارة الغربية، ومع ذلك فهناك إشارات لهذا المصطلح في التراث العربي منها ما ذكره الكفوي في تعريفه بعد أن ذكر الجانب اللغوي وهو الارتفاع قال:(نقل في الاصطلاح إلى الكتاب والسّنة وإلى ما لا يحتمل إلّا معنى واحدًا... وقيل نصّ عليه كذا إذا عيّنه)[٥] .

ينحدر الأصل اللغويّ لكلمة نصّ (Texte , Text) في الثقافة الغربيّة من الأصل اللاتينيّ للكلمة (textus) وتعني أصلاً النسيج أو الأسياخ المضفرة، مأخوذاً من الفعل اللاتينيّ (texrere)ويعني نسج الخيوط مما أدى إلى تكوين قطعة قماش متماسكة[٦] ثم انتقل هذا المعنى اللغويّ إلى النصّ الذي عدّ نسجاً من الكلمات، وإنّ العلاقة بيّنة في هذا النقل، فإذا كان النسيج الماديّ يتكوّن من اللحمة والمنوال فإنّ النصّ يتكوّن من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة وللنصّ في الاصطلاح الغربي عدة تعريفات لم يستطع صلاح فضل إخفاء عدم القدرة على تحديده تحديداً دقيقاً وفي أنه لا يمكن الوصول (إلى تحديد واضح قاطع بمجرد إيراد التعريف بل علينا أن نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة)[٧].

المتشابه :

المتشابه في القرآن الكريم نوعان؛ منه لفظي وآخر معنوي، يقول تعالى:{هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ – آل عمران٧} .

فهذا هو التشابه المعنوي وقد ذهب فيه العلماء مذاهب متعددة[٨] والراجح من هذه المذاهب هو أنّ المحكم ما بانَ منه المعنى المراد بياناً واضحاً ليس فيه لبس على السامع والمفسر، أمّا المتشابه فهو ما لم يبن المراد منه حتى كثرت فيه الآراء وتضاربت كقوله تعالى:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى – طه٥} فقد ذهبوا فيه مذاهب كثيرة، وكل فرقة وضحت المراد من الآية بحسب أفكارها مع الأدلة[٩]. فالمراد إذن هو التشابه اللفظي الذي يبدأ من الحرف فالكلمة والآية والسورة فأقسام القرآن المعروفة كالسبع والمئين والمثاني والمفصل، أو هو المعني بالتصريف القرآني إذ يقول تعالى:{انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ – الأنعام٦٥} وقوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ – الأنعام١٠٥} وآيات أخرى ورد فيها المصطلح . والمقصود بالتصريف هو التنوع في أساليب القرآن كاستعمال الاسم والفعل والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والاختلاف اليسير في الأبنية من زيادة حرف أو عدم زيادته، وغير ذلك مما تتغير فيه الكلمة تغيراً يسيراً بما يجعلها تبدو متكررة، وهي ليست كذلك مع أنّ كثيراً من السابقين ذكروا مصطلح التكرار في القرآن، ولعله ليس دقيقاً، والأدق والأفضل هو مصطلح التصريف القرآني.

المصنفون فيه:

إنّ علم المتشابه اللفظي يعود إلى علم البلاغة القرآنية، وقد صنف فيه العديد من العلماء منهم ابن قتيبة (٢٧٦هـ) والباقلاني (٤٠٣هـ) وغيرهما إلا أنّ مؤلفاتهم كانت مختلطة بأقسام البلاغة الأخرى، ولم يتبلور هذا العلم وينفرد حتى ألّف جماعة هم أصحاب المتشابهات كالشريف الرضي (٤٠٨هـ) في كتابه حقائق التأويل في متشابه التنزيل، والخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل، والكرماني (٥٠٥هـ) في كتابه البرهان في متشابه القرآن، وفي نسخ أخرى تحت مسمى (أسرار التكرار في القرآن)، وابن جماعة (٧٣٣هـ) في كتابه كشف المعاني في المتشابه من المثاني، وزاد قسم من الباحثين على كتب المتشابهات كتاب (المدهش) لابن الجوزي (٥٩٧هـ) إلا أنه عند التحقيق ليس منها لأنّه خلط مع المتشابه الكثير من العلوم الأخرى كالقصص القرآني والحديث النبوي وغيرها وأفرد فصولاً في عيون المتشابه[١٠] فذكر فصلاً في الحروف المبدلات فـ(في الْبقرة فانفجرت منه وفي الأعراف فانبجست)[١١] وذكر فصلاً في الحروف الزوائد والنواقص فـ(في البقرة فمن تبع هداي وفي طه فمن اتبع)[١٢] وذكر فصلاً في المقدم والمؤخر فـ(فِي الْأَنْعَام لَا إِلَه إِلَّا هُوَ خَالق كل شَيْء وَفِي حم الْمُؤمن خَالق كل شَيْء لَا إِلَه إِلَّا هُوَ)[١٣] أما غير ذلك فلا ينتمي لعلم المتشابه اللفظي . ومن هؤلاء ابن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ) في كتابه (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) وقد وضع كتابه هذا في مجلدين من القطع المتوسط، والغرناطي مع الأربعة الأولين يعدّون من أصحاب المتشابهات اللفظية، أو التصريف القرآني؛ لأنّ الزركشي والسيوطي خلطا في مؤلفاتهما مع المتشابهات العلوم الأخرى كعلوم القرآن وغيره ولعل آخرهم هو زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) في كتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن).

المبحث الثاني: دلالة لفظة أحد

لو تتبعنا أصحاب المتشابهات اللفظية في هذه القضية فسنجد أنّ الشريف الرضي لم يتحدث عنها في كتابه حقائق التأويل في متشابه التنزيل، وكذلك عند الاسكافي إذ لم يرد عنده شيء، أما الكرماني فقد ورد ذكر السورة عنده لكن لم يتعرض للفظة (أحد) إلا اللهم قوله (قوله تعالى الله أحد الله الصَّمد كرر لتكون كل جملة منهما مستقلَّة بذاتها غير محتاجة إلى ما قبلها ثمَّ نفى سبحانه عن نفسه الولد والصاحبة بقوله ولم يكن له كفواً أحد)[١٤] ولم يرد عنها شيء عند ابن جماعة، أمّا أكثرهم ذكراً فهو الغرناطي، وذكر زكريا الأنصاري شيئاً يسيراً عنها . أفاض الغرناطي كثيراً في قوله تعالى:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ – الإخلاص ١} ولعلّها أكبر قضية لغوية دلالية عالجها في كتابه فقد ناهز كلامه عليها سبع صفحات كاملة[١٥] وقمِنٌ به ذلك فإنّ الكلام على التوحيد والإخلاص لا يدانيه كلام آخر، ولعلّه بذلك أراد أن

تكون خاتمة الكتاب مسكاً، وأن يتميز من سلفه الإسكافي (٤٢٠هـ) بمزيّة تبقى في الذهن؛ لأنّ هذا الأخير لم يتعرض لسورة الإخلاص قط – على أهميتها – في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل . الغرناطي هنا أتى بالكثير من الأقوال، وكرر كلامه في غير موضع إشارة لأهمية ما يقول وتنبيهاً عليه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تلخيص كلامه لتحليله ومعالجته دفعة واحدة؛ لذلك عمدت للتجزئة التي قد تكون تفصيلية أحياناً؛ لأنّ المقام يقتضي ذلك، فنحن إزاء سورة الإخلاص ولا شيء يسمو عليها فهي تعدل ثلث القرآن[١٦].

(قيل في أحد هنا: أنّه بمعنى واحد وأصله وَحْد... وربما عضد هذا القول أيضاً بأنّ أحداً الواقع في الجواب إنما ينبغي أن يكون بمعنى واحد ومرادفاً له؛ لأنّه قد صحّ عن أئمة اللسان اتفاقهم على أنّ أحداً لفظ يخص الواجب من الكلام ويقع عاماً فتقول ما جاءني أحد فيحصل منه النفي العام ولا تقول جاءني أحد)[١٧] أي أنّ أحداً محوّل عن أصل هو (وَحْد) لفظاً ودلالته (واحد) معنى فأما اللفظ فبقلب الهمزة واواً (قالوا أحدٌ وأصله وحدٌ لأنه واحد فأبدلوا الهمزة لضعف الواو)[١٨] فالجانب اللفظي واضح بين وهو الإبدال بين الواو والهمزة، إلا أنّ الخلاف واقع في المعنى وهو مساواة أحد لواحد، ولو لم يكن كذلك لما استغرق الحديث عليه سبع صفحات . الجانب الأخر الذي وقع فيه المؤلف – وربما من الناسخ – وفات على المحقق في الحالين من المؤلف أو من الناسخ هو قوله في النص السابق ذكره (أنّ أحداً لفظ يخص الواجب من الكلام)[١٩] وهو خطأ بل يخص غير الواجب أو المنفي يؤيده تفسيره بعده (فتقول ما جاءني أحد فيحصل منه النفي العام ولا تقول جاءني أحد)[٢٠] فلا يصح وقوع أحد في الكلام الموجب فبانَ الخطأ في نص الغرناطي، ولعله سقط من الناسخ . إذا ثبت ذلك فإنّ الكثير من أئمة اللسان لا يوقعون أحداً في الكلام الموجب كما نصّ عليه الغرناطي – بعد التصويب – وكلامه هذا صحيح وقد استدل عليه بكلام سيبويه وتمامه (ولا يجوز لأحد أن تَضعه في موضعِ واجب لو قلت كان أحد من آل فلان لم يجز لأنه إنما وقع في كلامهم نفياً عاماً)[٢١] وليس بعد كلام سيبويه كلام لأهل اللغة :

إذا قالت حَذامِ فأَنْصِتُوها فإنَّ القولَ ما قالَتْ حَذامِ [٢٢]

(فإذا ورد في واجب فينبغي أن يحمل على أنه بمعنى واحد... والواقع في سورة الإخلاص من هذا القبيل أعني الذي أحد فيه بمعنى واحد)[٢٣] وهذا الرأي ذكره جلة من العلماء[٢٤] وليس قول الغرناطي أنّ (أحداً) يساوي (واحداً) في المعنى أنّه يتبنى هذا الرأي وإن ذكره جلة من العلماء إنّما هو نقل آراء الآخرين أمّا رأيه في معنى (أحد) في كلمة الإخلاص فسيذكره فيما بعد لذلك تساءل هنا: (فكيف ترى موقع هذا التفسير؟ قلت: أما القول بأن أحداً هنا مرادف لواحد وبمعناه من كل جهة فقول ليس ببدع، ولذلك جرى عليه أكثر كلام المفسرين) [٢٥] والدليل على أنه لا يؤيد ذلك هو إنكاره (ادعاء ترادف للفظين من غير حامل قطعي

أكثر من وقوع أحد في قولك أحد عشر ، وواحد وعشرون وشبه ذلك)[٢٦] ثم دليل آخر وهو أنّه خلص إلى القول بـ(إبقاء كل واحدة من اللفظتين على ما استقر لها في المعنى وإلا يعدل عن ذلك ما وجدت عنه مندوحة)[٢٧]. وما زال الغرناطي مستمراً في تتبع لفظة (أحد) فقد أوضح الفارق اللفظي والمعنوي بين اللفظتين فاللفظي هو في قبول (واحد) التذكير والتأنيث والجمع واستعماله في الواجب وغير الواجب ووقوعه تابعاً في أكثر ما يرد في الكلام أما (أحد) فخلاف ذلك إلا قليلاً[٢٨]. وأهم هذا الاستثناء – يعني قليلاً – هي الآية التي نحن إزاءها:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ – الإخلاص ١} والشاهد فيها (أحد) لأن الكثير أن ترد في الكلام غير الموجب أو المنفي وقد أورد عدة آيات منها قوله تعالى:{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا– الكهف ١١٠} وقوله تعالى:{وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا– الكهف ٣٨} وقوله تعالى:{ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا– الجن ٢٢} و{وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا– الجن ٢} وحق له ذلك فلولا هذا الاستثناء لما أخذت منه – ومن غيره أيضاً – هذه القضية كل هذا الاهتمام . ثم ذكر الفرق المعنوي ومما يظهر أنه فصل بين الفارقين، والرأي أنّ الفصل صعب بينهما مع الإشارة إلى أنّ قضية اللفظ والمعنى قضية خلافية قديمة ربما لا تسمو إلى تحديدها الأقلام والآراء[٢٩]. ومن جهة المعنى ذكر ثلاثة فوارق أيضاً الأول أنّ (الواحد) يقع على العاقل وغيره أما (أحد) فللعاقل حسب، والثاني أنّ (الواحد) قد يعني العدد وربما أكثر منه عند النفي كما في باب لا النافية العاملة عمل ليس فهي لنفي الوحدة لا الجنس تحقيقاً، وقد يعني القوة والضعف، وقد يعني أمراً لا هذا ولا ذاك، والثالث يعني هذا العدد حصراً لا أكثر ولا أقل[٣٠] والذي يتبين من هذه الأقوال هو المعنى الاحتمالي الذي تتضمنه لفظة (واحد) وهذا ليس موجوداً في (أحد) ولكأني بالغرناطي يحاول التدرج في إثبات الأدلة ليصل إلى مراده في دلالة (أحد) في الآية الكريمة، وهو منهج يدل على عقليته العلمية الكبيرة . وبعد كل هذه الاستدلالات وإيراد أقوال العلماء من اللغويين والمفسرين وغيرهم فقد وصل إلى الثمرة من ذلك كله وهو (الحاصل المعتمد في معنى أحد... قلت: معناه وحدة لا غيرية معها ولا أثنينية)[٣١] هذه هي الثمرة والنتيجة من كلامه ذاك، وأكرم بها من نتيجة تجعلنا نقول باطمئنان إنّ الواحد غير الأحد من كل وجه؛ لأنّ أهل اللغة لا يوقعون أحداً في الكلام الموجب، فلما وقعت في هذه الآية حصراً وجب أن يختلف المعنى وهو نفي الشريك من كل وجه نفياً قاطعاً لا يتطرق إليه الاحتمال، وأن تكون لفظة أحد ذات مزية خاصة، يؤيده وقوعها في هذا الموضع على هذا النحو الذي ذكرناه وأنها لفظ ليس له جمع[٣٢] مثلاً لذلك قال السيوطي (٩١١هـ):(وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد)[٣٣] .

أما القائلون بمعنى الواحد فقد عاب عليهم الغرناطي ذلك، وذكر من هؤلاء الزمخشري (٥٣٨هـ)[٣٤] فيما مدح من المفسرين (من قال : أحد بمعنى واحد فرد من جميع جهات

الوحدانية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ- الشورى ١١})[٣٥] (وقال بعض الأئمة الفرق بين أحد وواحد أنّ الواحد المنفرد بالذات والأحد المنفرد بالمعنى ومنه في أسمائه تعالى: الواحد – الأحد)[٣٦] وهو مقبول من جهة اللغة؛ ذلك أنّ الواحد وهو مبتدأ العدد يستعمل صفة أيضاً (اعلم أن قولهم واحد جرى في كلامهم على ضربين أحدهما أن يكون اسماً، والآخر أن يكون وصفاً)[٣٧] (وقال بعض العارفين في كشف معنى الأحد ورتبته: إن الذات الأعظم غيب محض والأحد أول تعيناتها؛ ولذلك بدئ بالهمزة التي هي أول تعيناتها)[٣٨] وهو تخريج لغوي بدع لم أعثر على سواه. ثم خلص الغرناطي إلى أمر مهم جداً هو قوله (ووضع قول أئمة اللسان أنّه لا يرد في الواجب، يريدون في محاورات المخلوقين وتخاطبهم، إذ لا يصح معناه هناك، فأما في حق الخالق جل جلاله فهو موضعه الذي يصح فيه ولا يتعداه)[٣٩] فهذه ثمرة أخرى ودلالة جديدة، فهو للخالق حسب وهو(مبالغة في كونه واحداً والذي يمتلىء منه العرش، ويفضل عن العرش يكون مركباً من أجزاء فوق أجزاء العرش)[٤٠] .

ونحن إذ نورد أقوال الكثير من اللغويين والمفسرين وغيرهم ممن جعلوا أحداً هو بمعنى واحد، ومنهم من رده لفظاً إليه فإنه إذ ذاك ينتمي إلى اسم الفاعل من الثلاثي وهذا شأن ضرب من أضرب العدد في اللغة وهو مقلوب الحادي زنة فاعل ففيه إعلال أيضاً بقلب الواو ياء[٤١] فهو على ذلك اسم فاعل من الثلاثي الذي يفيد الحدث وفاعله حسب، فيما تتميز منه صيغ المبالغة مثلاً بكثرة وقوع الحدث منها ومبالغته فكانت أولى منه في هذا الموضع لو صح أن أحداً هو (وَحْد) نفسه؛ لأن الموضع يراد منه الإخلاص ونفي الشراكة من كل وجه نفياً قاطعاً لا ريب فيه؛ فكان لابد أن يكون (أحد) فيه من المعاني ما ليس في (واحد) لذلك قيل إنّ (الأحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته في الخلق إثباتاً فلم تستعمله العرب بمفرد قط أي وهو بمعناه الحقيقي لا بمعنى واحد ولا بمعنى أول مثلاً إلا في النفي لما علموا أنه مفصح عن إحاطة جامعة لا يشذ عنها شيء، وذلك مما تدركه العقول والحواس في النفي ولا تدركه في الإثبات)[٤٢] وهو كلام جميل فيه من البيان ما فيه؛ لأنك إذا قلت: (ما في الدارِ من أحدٍ) فالنفي للكل ولا يسوغ أن تقول:(في الدار أحدٌ) إذ لا يعقل أن يكون هناك إنسان جامع لكل صفات الإنسانية أو ذاتها؛ لذلك اختص هذا اللفظ إثباتاً به تعالى أما نفياً فلا إشكال في استعماله بين الخالق والمخلوقين، ولم يبعد الغرناطي عن هذا المعنى أيضاً بقوله أن يستحيل أن تجد مخلوقاً ليس له نظير أو مثيل في إشارة إلى استخدام أحد في المثبت في غيره سبحانه وتعالى[٤٣]. ثم ختم كلامه الطويل المسهب بسؤال مهم فقال:(ولم يتعرض النحويون لعلة امتناعه في الواجب، بل اكتفوا بتقرير السماع... وإذ وضحت العلة تبين وجه وروده في السورة الكريمة)[٤٤] والجواب عن سؤاله هذا محله التركيب إن وجد جواباً عند النحويين وإلا فهو من باب السماع كما أشار إلى ذلك الغرناطي .

بين الأصالة والتبعية:

وقد ذكر الصفة والتبعية في موضع آخر مهم وذلك في كلمة الإخلاص{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ – الاخلاص١} فقد ذكره في بيان التعبير بـ(أحد) في كلمة الإخلاص والفرق بينه وبين كلمة واحد فهو يرى (أن واحداً يقع تابعاً في أكثر موارده وهو الوجه فيه؛ لأنه يجري صفة وإنْ كان الوصف به عارضاً كما في الأعداد لكنه قد أجري صفة، وحكم ما ليس بخاص من الصفات لزوم التبعية، ولا يقع أحد تابعاً أصلاً إلا في نادر فلا تقول جاءني رجل أحد كما تقول رجل واحد)[٤٥] والقصد من هذا الكلام هو بيان تخصيص سورة الإخلاص بما خصصت بها وهو لفظة أحد التي لا تقع صفة إلا نادراً كما بين، وأنها لا تقع في إثبات إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم؛ لأنّ دلالتها هنا حتمت ذلك، وقد استفضنا في بيان ذلك فيما سبق وذكرنا هناك أنّ الغرناطي قد فصّل القول في كلمة الإخلاص والمتشابه فيها، وتحدث كثيراً عن لفظة (أحد) بما يقارب من سبع صفحات .

واختم بما ذكره زكريا الأنصاري في هذه المسألة قال:(فإن قلتَ: كيف ذكر أَحدٌ في الإثبات، مع أنّ المشهور أنه يستعمل بعد النفي، كما أنّ الواحدَ لا يستعمل إلَّا بعد الإثبات، يُقال: في الدار واحدٌ، وما في الدَّار أحدٌ، ومن ذلك قوله تعالى " وَإِلهكُمْ إِلهٌ وَاحدٌ " وقولُه " لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ " وقولُه تعالى " وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ ابدا " وقولُه " لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ)[٤٦] ولم يكن جوابه يحمل جديداً فانه (لا فرق بينهما في المعنى واختاره أبو عُبيدة ... ويجوز أن يكون العدول عن المشهور هنا، رعاية للفاصلةِ بعدُ)[٤٧] .

النتائج :

- احتفل العلماء العرب من لغويين ومفسرين وغيرهم احتفالاً كبيراً بالنصّ عموماً والنص الديني على وجه الخصوص ولاسيما نصّ القرآن الكريم.
- من الأوجه الدقيقة لاحتفالهم هذا بحثهم عن الفروق الدلالية الدقيقة بين ألفاظه وتعبيراته ولذلك ظهر ما يسمى بالتشابه اللفظي في القرآن الكريم.
- المقصود بالتشابه اللفظي هو التنوع في أساليب القرآن كاستعمال الاسم والفعل والإيجاز والإطناب والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والاختلاف اليسير في الأبنية من زيادة حرف أو عدم زيادته.
- كتب المتشابهات اللفظية ليست كثيرة بسبب تأخر هذا العلم في الظهور لدقته وصعوبته بسبب اعتماده على العلوم اللغوية الأخرى التي كانت في طور التكوين أولهم الشريف الرضي (٤٠٨هـ) في كتابه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) ثم الخطيب الإسكافي (٤٢٠هـ) في (كتابه درة التنزيل وغرة التأويل) والكرماني (٥٠٥هـ) في كتابه (البرهان في متشابه القرآن) وابن جماعة (٧٣٣هـ) في كتابه (كشف المعاني في المتشابه من

المثاني) ثم الغرناطي (٧٠٨هـ) في كتابه (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) ثم زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) في كتابه (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن) .

- أوسع هذه الكتب قبل تحقيق كتاب الدرة هو كتاب ملاك التأويل للغرناطي فإنه يتناول المسائل تناولاً تفصيلياً وآية ذلك شرحه لدلالة لفظة (أحد) في سورة الإخلاص في نحو صفحات سبع من كتابه فيما لم يذكرها بعضهم وذكرها بعضهم الآخر باقتضاب .
- من النتائج المهمة أنه لا يصح وقوع (أحد) في الكلام الموجب فإنّ الكثير من أئمة اللسان لا يوقعون أحداً في الكلام الموجب فإذا ورد في واجب فينبغي أن يحمل على أنه بمعنى واحد.
- ومن جهة المعنى ذكر ثلاثة فوارق بين اللفظين الأول أنّ (الواحد) يقع على العاقل وغيره أما (أحد) فللعاقل حسب، والثاني أنّ (الواحد) قد يعني العدد وربما أكثر منه، وقد يعني القوة والضعف، وقد يعني أمراً لا هذا ولا ذاك، والثالث يعني هذا العدد حصراً لا أكثر ولا أقل.
- الحاصل المعتمد في معنى (أحد) معناه وحدة لا غيرية معها ولا ثنائية هي الثمرة والنتيجة من كلامه ذاك، وأكرم بها من نتيجة تجعلنا نقول باطمئنان إنّ الواحد غير الأحد من كل وجه.
- استثنى الغرناطي سورة الإخلاص في جواز وقوع (أحد) في الكلام الموجب فقد وقعت في هذه الآية حصراً ووجب أن يختلف المعنى وهو نفي الشريك من كل وجه نفياً قاطعاً لا يتطرق إليه الاحتمال، وأن تكون لفظة (أحد) ذات مزية خاصة.
- ثم خلص الغرناطي إلى أمر مهم جداً هو قول أئمة اللسان أنّه لا يرد في الواجب، يريدون في محاورات المخلوقين وتخاطبهم، إذ لا يصح معناه هناك، فأمّا في حق الخالق جل جلاله فهو موضعه الذي يصح فيه ولا يتعداه فهذه ثمرة أخرى ودلالة جديدة، فهو للخالق حسب .
- الأحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته في الخلق إثباتاً فلم تستعمله العرب بمفرد قط أي وهو بمعناه الحقيقي لا بمعنى واحد ولا بمعنى أول مثلاً إلا في النفي لما علموا أنه مفصح عن إحاطة جامعة لا يشذ عنها شيء، وذلك مما تدركه العقول والحواس .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م) .

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان الكرماني(نحو ٥٠٥هـ) المحقق: عبد القادر أحمد عطا دار الفضيلة .
- إعراب القرآن أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: د. زهير غازي زاهد عالم الكتب بيروت لبنان (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م) .
- الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) تحقيق: محمد حسن إسماعيل دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م).
- البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض و د. زكريا عبد المجيد النوقي و د. أحمد تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي
- بلاغة الخطاب وعلم النص صلاح فضل عالم المعرفة الكويت (١٩٩٢م) .
- جامع البيان في تأويل القرآن ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ =٢٠٠٠م).
- الجامع الصحيح المختصر البخاري (٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير اليمامة بيروت لبنان الطبعة الثالثة (١٤٠٧ = ١٩٨٧م).
- الحيوان الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت لبنان (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).
- رسالة الحدود الرماني (٣٨٤هـ) تحقيق: إبراهيم السامرائي دار الفكر عمان الأردن.
- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م) .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ابن عقيل (٧٦٩هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر سوريا (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
- شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الاستراباذي (٦٨٦هـ) مع شرح الشواهد للبغدادي (١٠٩٣هـ) تحقيق: الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت لبنان (١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري (٤٠٠هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت لبنان الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م) .
- العدد في اللغة ابن سيده (٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الله بن الحسين الناصر وعدنان بن محمد الظاهر الطبعة الأولى (١٤١٣هـ= ١٩٩٣م) .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري (٨٥٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) تحقيق: محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م) .
- كتاب العين الفراهيدي (١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال
- الكتاب سيبويه (١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت لبنان .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية الكفوي (١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

- لسان العرب ابن منظور (٧١١هـ) دار صادر بيروت لبنان الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ) .
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه محمد الأخضر الصبيحي الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف .
- المدهش ابن الجوزي (٥٩٧هـ) المحقق: الدكتور مروان قباني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ=١٩٨٥م) .
- مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) تحقيق: د. حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة بيروت لبنان (١٤٠٥هـ).
- معجم الفروق اللغوية أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى (١٤١٢هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم إيران .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل أحمد بن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ) تحقيق: سعيد الفلاح دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٩٨٣م)
- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني تحقيق: مكتب البحوث والدراسات دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الأولى (١٩٩٦م) .
- نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى عمر أبو خرمة عالم الكتب الحديث اربد الأردن (١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م) .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي (٨٨٥هـ) دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية (٢٠٠٢م = ١٤٢٤هـ) .

هوامش البحث :

(١) ينظر العين : نص :٨٦/٧ فما بعدها

(٢) ينظر لسان العرب: مادة (ن ص ص)

(٣) ينظر لسان العرب: مادة (ن ص ص)

(٤) نحو النص نقد النظرية وبناء اخرى:٢٩

(١) الكليات:٩٠٨

(٢) ينظر مدخل الى علم النص للصبيحي:١٩

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص لصلاح فضل:٢١١

(٤) ينظر مناهل العرفان للزرقاني: ٢٧٢/٢

(٩) ينظر مناهل العرفان:٢٨٢/٢ فما بعدها .

(١٠) ينظر المدهش لابن الجوزي:١٨ فما بعدها.

(١١) ينظر المدهش:١٨ .

(١٢) ينظر المدهش:٢٠ .

(١٣) ينظر المدهش:٢٢ .

(١٤) أسرار التكرار للكرماني:٢٥٧ .

(١٥) تكلم عليها من الصفحة ١١٥٥ حتى الصفحة ١١٦١ في النسخة التي اعتمدنا عليها من ملاك التأويل بتحقيق سعيد الفلاح طبعة دار الغرب الإسلامي .

(١٦) الجامع الصحيح المختصر للبخاري:٢٤٤٩/٦

(١٧) ملاك التأويل:١١٥٥/٢

(١٨) الكتاب:٣٣١/٤ ، وينظر شرح الشافية للرضي:٧٩/٣

(١٩) ملاك التأويل:١١٥٥/٢

(٢٠) ملاك التأويل:١١٥٥/٢

(٢١) الكتاب:٥٤/١-٥٥ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس:٣١١/٥ ورسالة الحدود علي بن عيسى للرماني :٦ ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي:٨٧٠/٨

(٢٢) البيت في اللسان(ن ص ت) وشرح ابن عقيل:١٠٥/١ منسوب لغير قائل واحد .

(٢٣) ينظر ملاك التأويل:١١٥٦/٢

(٢٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر جامع البيان:٦٨٨/٢٤ ، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (أ ح د) ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي:٨٥٤/٢ ، ولسان العرب (أ ح د) ، والبحر المحيط:٣٢٩/٨ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي :١٧٠/٢ .

(٢٥) ملاك التأويل:١١٥٦/٢

(٢٦) ملاك التأويل:١١٥٦/٢

(٢٧) ملاك التأويل:١١٥٦/٢

(٢٨) ينظر ملاك التأويل:١١٥٦/٢-١١٥٧ ، ومعجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري:٥٦٥

(٢٩) ينظر في قضية اللفظ والمعنى الحيوان للجاحظ:١٣١/٣ ، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي:١٠٤ ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي:٢١٧ .

(٣٠) ينظر ملاك التأويل:١١٥٦/٢-١١٥٨ ، ومعجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري:٥٦٥

(٣١) ملاك التأويل:١١٥٩/٢

(٣٢) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي (ا ح د)

(٣٣) الإتقان:١٦٩/٢

(٣٤) ينظر ملاك التأويل:١١٥٩/٢ ، والكشاف:٨٢٣/٤

(٣٥) ملاك التأويل:١١٥٩/٢

(٣٦) ملاك التأويل:١١٥٩/٢ ، وينظر الفروق اللغوية :٥٦٥

(٣٧) العدد في اللغة لابن سيده:٢

(٣٨) نظم الدرر:٥٧٧/٨

(٣٩) ملاك التأويل:١١٦١/٢

(٤٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري:٨٦٥/١

(٤١) ينظر شرح الشافية للرضي:٢٢/١ ، ولسان العرب (و ح د) .

(٤٢) نظم الدرر:٥٧٧/٨

(٤٣) ينظر ملاك التأويل:١١٦٠/٢-١١٦١

(٤٤) ملاك التأويل:١١٦١/٢

(٤٥) ملاك التأويل:١١٥٨/٢

(٤٦) فتح الرحمن للأنصاري:٦٣٢

(٤٧) فتح الرحمن:٦٣٣

Summary:

This book deals with the verses of the Holy Quran to highlight the rhetorical aspects and the miraculous secrets, especially the issues of Qur'anic interpretation. They guide the verses with great rhetorical guidance, and depend on the language of their language and so on. Important books in the field of interpretation of the Koran, and one of the striking issues modern owners of verbal similarities of the meaning of the word (one) in the Surah Al-Ikhlas (Say God is one) especially Granati, and something goes on Ansari, a question of unification and missed the speech in about seven full pages When the Granati in his book the angel of interpretation.

Keywords: Dlala - one - similar word